سبل معالجة الأزمات في الغرب الإسلامي

ما بين القرنين 6-8هـ/12-14م

الدكتور: بسام العلوش

كلية الآداب – جامعة البعث

ملخص البحث

نظراً لما تحدثه الأزمات من انهيارات اقتصادية ،وفواجع اجتماعية وانزياحات ديموغرافية، وإرباكات في هيكلية الدولة، التي ستؤثر سلباً في أفول الدول، فقد أولى المصلحون من حكام وسياسيين وأعيان ورجال دين، عناية جلية للتصدي للكوارث والأزمات وتخفيف معاناة المتضررين، من خلال وجود برامج إصلاحية تهدف لتوزيع الثروة وفق أسس عادلة بحيث تصل إلى كافة المنكوبين لأجل استمرار الدولة وبقاء المجتمع.

Abstract

Due to economic collapses, social tragedies, demographic displacements and confusions in the state structure, which will negatively affect the state's demise, the reformers, rulers, politicians, dignitaries and clerics, have given clear attention to dealing with disasters and crises and alleviating the suffering of those affected, through reform programmes aimed at distributing wealth on fair foundations to reach all those affected for the .continuation of the state and the survival of society

أهمية البحث:

تبيان مدى أهمية العلاقة بين الدولة والمجتمع من خلال إيجاد برنامج تكافلي يضمن الاستمرارية للصالح العام في ظل وجود الأزمات البشرية، والكوارث الطبيعية. والتركيز على المخزون الثقافي لإنسان المغرب والأندلس من خلال رصد أثر الموروث الديني، في بلورة ذهنيات وتمثلات ذات مناحٍ وتأويلات عديدة.

إشكالية البحث:

- أهمية وجود البرامج الاصلاحية، الرسمية والشعبية.
- العلاقة التكاتفية بين الدولة والمجتمع والمؤسسة الدينية في ظل الأزمات.
- التكافل الاجتماعي ودوره في رأب الصدع بالأسر الفقيرة.

لامراء أن التاريخ السياسي حظي بالنصيب الأوفر بالدراسات التاريخية في حين أغفل الجانب الحضاري والديموغرافي، لما فيه من اشكاليات في بطون المصادر ومتونها النصية. كانت سبباً في عزوف غالبية الباحثين عن العمل في ذلك الحقل التاريخي.

منهج البحث:

تم الاعتماد على المنهج الوصفي و الاستقرائي، ومن ثم تحليل الرؤى السوسيولوجية (الدينية)، كذلك الاعتماد على التحليل النفسي، لإنسان المغرب والأندلس مدار الحقبة المدروسة. لتبيان دور الضغوط الطبيعية، والممارسات البشرية، في السلوك والذهنية.

كلمات مفتاحية:

الأزمات، الكوارث، الحلول الرسمية، الحلول الدينية، الحلول الشعبية، التعاونيات.

مقدمة

تعد الكوارث الطبيعية ، من أهم أسباب الهبوط الاقتصادي ، والتدني الاجتماعي[1]، نظراً لما تسببه من أزمات ومجاعات تعصف بالحاصلات الزراعية، وتلحق بها أكبر الضرر، وهذا الضغط الاقتصادي الذي فرضه تحدي المناخ لم يتمثل في زيادة معدلات التصحر ، والجفاف فقط ، بل تمثل في التهديد بلقمة العيش (أمن الحياة) ، نتيجة لزيادة معدلات الطلب ونقص العرض ، مما أنتج ضغطاً اقتصادياً تسبب فيه عدم التوازن الاقتصادي ، فأثقل كاهل الدولة والمجتمع .

وقد أدت الطبيعة دوراً مهماً في حياة مجتمع الغرب الإسلامي ، فعاش في رهان مع الطبيعة ، بين الشح والعطاء ، حيث يأتي المطر في بعض السنوات مبكراً ومفاجئاً على غير ميعاده ، وهذا الخلل يعني امتثال الإنتاج الاقتصادي وفقاً لمعدلات الهطولات المطرية ، واستطاع أن يؤثر في البنية الاقتصادية ومصالح الناس .

ورافق هذا الخلل المطري ، حدوث الزلازل ، والأمراض والأوبئة [2]، وانتشار الجراد ، مما أدى إلى حدوث مجاعات ذهب ضحيتها آلاف الناس .

أضف إلى ذلك أنه جرّاء هذه الاكتساحات الطبيعية التي تعرضت لها مناطق دون أخرى ؛ كان الناس يجبرون على هجر مدنهم ومزارعهم ، ملتجئين إلى مناطق أخرى أكثر أمناً ، مما يشكل فقراً اقتصادياً نتيجة هجر المزارع ، وضغطاً اجتماعياً واقتصادياً ، على المدن المنزوح إليها ، بسبب النمو الديموغرافي المفاجئ ، وارتفاع نسبة البطالة ، فأدى ذلك إلى مشكلة الركود

---

[1] - أنظر حول ذلك ،

- مؤلف مجهول: تقييد في الأنواء وشهور السنة ، مخ ، خ.ع . الرباط ، ميكروفيلم ، رقم (2765د)، ص 320-321 .
- ابن هيدرو: الاعتبارات النظرية في الأحكام النجومية ، مخ . خ.ع . الرباط ، ميكروفيلم ، ضمن ، رقم (291د)، ص 236

[2] - ابن هيدرو: ماهية المرض الوبائي وتسمى أيضا الخطبة المكية في الأمراض الوقائية، مخ،خ.ح.الرباط، رقم(9605)، مخ، ورقة 2 .

التضخمي ، وعلى المستوى الاجتماعي خسارة عدد كبير من المهن والصنائع داخل المدن ، لهلاك عدد كبير من الصناع والحرفيين .

كما يؤدي القحط والجفاف إلى انخفاض في مستوى المياه الجوفية ، والتقليل من جريان المياه السطحية ، وهذه تؤثر بشكل مباشر في مستوى استثمار المياه ، فالأماكن التي يعتمد سكانها على الآبار نتيجة لاستغلالهم المياه الجوفية ، يصبح استغلالها لديهم ضعيفاً وذلك لانخفاض منسوب المياه وبالتالي تجف الآبار ، وكذا المياه السطحية، فانعدام الجريان أو انخفاض سرعة الانحدار ، يؤدي بطبيعة الحال إلى ضعف في استخدام الأرض والنواعير والسقايات ، خاصة مع اعتماد النشاط السكاني على هكذا موارد نظراً لانعدام أو قلة المشاريع المائية الضخمة التي تشرف عليها الدولة . ويبدو أن سنوات القحط كانت شديدة لدرجة تأثيرها في بنية الدولة ، وهيكلية المجتمع [1].

تعرضت بلاد الغرب الإسلامي كغيرها من بلدان العالم للعديد من الكوارث والجوائح ، الطبيعية والبشرية، من حقبة لأخرى، حيث شكلت خطراً هدد سقوط الدول، وأثر في استمرارية الوجود البشري ، مما أثر في سلوك الدولة، وذهنية المجتمع.

من الثابت أن الحروب والفتن والثورات ، تؤثر تأثيراً بالغاً في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، كما أن اضطراب حالة أمن الدولة خصوصاً في أوقات ضعف سلطتها ، يؤدي غالباً إلى قلة الأقوات ، واضطراب الحياة وزعزعة الاقتصاد ، وانتشار حوادث السرقة والنهب والقتل والمشاجرات الدامية [2] .

كان للصراع الدائر بين القوى المتناحرة ، دور بارز في إحداث الخراب والدمار، إضافة إلى وجود حركات التمرد، علاوة على الغزوات الخارجية ، وما صاحبها من شلل للحياة الاقتصادية والاجتماعية ، فقد وصف ابن خلدون دخول – بني هلال - أفريقية سنة (443هـ/1051م) " كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه " [3] .

---

[1] - الناصري: الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، إعداد، محمد المغراوي، منشورات وزارة الثقافة ، المغرب ، ط3، 2005م ، ج4،ق1/88 .

[2] - كمال السيد أبو مصطفى: محاضرات في تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته المغرب والأندلس ، مركز الاسكندرية ، الأزرايطة ، 2007 م ، ص 342

[3] - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 1427هـ 2006م ،

وكان يرافق الاستعداد للحملات العسكرية اصطحاب المؤن وإعداد الأقوات مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار ، وقلة الطعام [1] . نتيجة زيادة حركة الطلب والعرض في السوق .

وكان لاستمرار الحروب لعدد من السنوات وقعه على كاهل المجتمع، عامتهم وخاصتهم ، نظراً لما يرافق ذلك من دمار متواصل وشلل في الحركة الاقتصادية [2].

كما شكلت الضرائب والأتاوات عاملاً مهماً في تدهور اقتصاد المجتمع وعرقلة حركته التطورية ، كما أنها تساهم في عدم إرساء قواعد الدولة وتصدع هيكليتها معاً [3]، الأمر الذي أدى إلى إهمال الحرف والصناعات [4].

أمام تلك المتغيرات الطبيعية، والضغوط البشرية، حاول المعنيون بالأمر إيجاد السبل والوسائل الكفيلة للحيلولة ما أمكن من رتق اقتصاد الدولة والمجتمع.

1- الحلول على المستوى الرسمي:

سعت الدول المركزية في عهود قوتها إلى إبراز الإجراءات القانونية ، ذات الصلة بمعاناة الإنسان ، التي تكثر إبان الكوارث الطبيعية ، وبموازة ذلك سعت أيضا إلى توفير حاجاتهم الملحة من إطعام وإنفاق وتفقد أحوالهم الحياتية.

فقد سعت السلطة المرابطية في بداية أمرها إلى إزالة المكوس ، والضرائب المثقلة كاهل الناس ، وشهدت أيامهم الرخاء والرفاهية ، بحيث "

ج6/18 . حول آثار الغزوة الاقتصادية ، انظر، Brett,(M) : Ifriqia as amarket for Saharan rtade from the tenth to twelth century A.D. journal of Africa history , vol.x(1960) p.346-347 .

[1] - حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط1 1980م ، ص 256 .

[2] - ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين ، تح/ محمد إبراهيم الكتاني ، محمد زنيبر ، محمد بن تاديت ، عبد القادر زمامة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1 1406 هـ / 1985 م ، ص 16 .

[3] - سعيد سيد أحمد أبو زيد: الحياة الاجتماعية في الأندلس عصر دولتي المرابطين والموحدين القاهرة، مطبعة الخانجي،1996م،ص 64

[4] - Cherif (M) : contribution a l histoire de Geuta aux epoquens almohade et Merinide , these de doctorat de 3e Cycle , dactilographies , Universite , de Toulouse le Miail , 1987 , P . 191 .

تناهى سعر القمح ... إلى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، والثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال " [1].

ونظرا لما كانت تعانيه البلاد من نقص في مواردها المائية نتيجة للتقلبات المناخية، أعربت السلطة عن اهتمامها بمشاريع الري ، سواء في البلاد المغربية أو الأندلسية [2]. فقد اعتنوا بالصهاريج والأحواض المائية وأحاطوها بسياج من الأشجار للتقليل من نسبة التبخر [3]. كما قام علي بن يوسف بن تاشفين ببناء قنطرة عجيبة متقنة الصنع على نهر تانسيفت [4].

الأمر الذي يؤكد اهتمام المرابطين بتوسيع المساحات المسقية ، وذلك عن طريق توفير التقنيات ، للتخفيف من حدة الجفاف وخطر الفيضانات . كما سعى الأمير المرابطي نفسه ، إلى توظيف خبرات المعاهدين الذين قدموا من الأندلس في مدّ مراكش بالماء [5]، ويصف الإدريسي ذلك " وماؤها الذي تسقى به البساتين مستخرج بصنعة هندسية حسنة " [6].

ومما يؤكد اهتمام الحكام المرابطين بالعامة ، وجود برنامج إصلاحي هدفه خدمة الناس والحد من الجور والمعاناة ، وذلك بتفقد أحوال الرعية ، والنظر في سير الولاة و العمال ، حيث أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان " يتفقد أحوالهم وينظر إلى سير ولاتهم وعمالهم"[7]. وفي السياق ذاته سعى الأمير علي بن يوسف إلى إقامة العدل ، حيث كان يبعث برسائل التقريع إلى عماله ، ومن ذلك ما

---

[1]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك بني المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مر/ عبد الوهاب بنمنصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2، 1420هـ / 1990 م ، ص 210 .

[2]- سامية مصطفى مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2003م ، ص 102 .

[3]- ابن عذارى: البيان المغرب، ص222 .

[4]- الحميري : محمد عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح/ إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2، 1984م ، ص 540 .

[5]- عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1424،2هـ/ 2003، ص 180 .

[6] - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1414هـ / 1994م ، ج233/1 .

[7]- ابن أبي زرع:الأنيس المطرب ، ص 173 .

أرسله إلى أبي محمد عبدالله ابن فاطمة العامل على إشبيلية بتاريخ 510هـ/1116-1117م، " وارفع لدعوة المظلوم حجابك ولا تَسُدّ في وجه المضطهد بابك " [1].

وبالمقابل قامت الدولة الموحدية بتوفير المياه ، وذلك عن طريق ابتكار أساليب لم تكن موجودة من قبل [2]، وإحياء الطرق الرومانية القديمة [3]، وتطوير تقنيات استخراج المياه وجلبها من المناطق التي تتوفر عليه إلى المناطق المزروعة[4]، كما تكشف المصادر عن جر المياه للمدن إذ استفادت مدينة مكناس فجلبوا لها الماء من عين تاكما على بعد ستة أميال [5]. كما جرّ الخليفة عبد المؤمن الماء لسلا من الرباط بواسطة قنطرة مائية [6]. وفي سنة 545هـ/1150م، أصدر الخليفة الموحدي عبد المؤمن تعليماته بإجراء الماء من غبولة فشق سربا تحت الأرض إلى قصبة المهدية [7]. الأمر الذي أدى إلى توفير المياه لشرب الناس ، والخيل وسقي الأرض ، وما يدل على قيمة هذا المشروع أنه تحقق على مسافة تناهز "عشرين ميلا" [8].

علاوة على ذلك جلب الخليفة الموحدي يعقوب المنصور الماء لمدينة آسفي من الوادي الأخضر بتساوت ، وذلك عبر قناة غاية في الإتقان من الرحامنة ودكالة ، ويمتد طولها عشرات الأميال [9].

ونظرا لما عانه القطاع الفلاحي من نقص في الموارد المائية ، فقد انصبت جهود الموحدين على مساعدة الفلاحين المنكوبين ، وذلك لتمكين القطاع السقوي

---

[1]- محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 1424هـ/2004م، ص 75 .

[2]- عز الدين موسى: النشاط ، ص 181 .

[3]- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية ، مصر، 1985م ، ص 137-138 .

[4]- محمد المنوني: حضار الموحدين ، دار طوبقال ، الدار البيضاء ، ط1، 1989، ص 169-170 .

[5]- ابن غازي: محمد غازي العثماني ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، تح/ عبد الوهاب بنمنصور ، المطبعة الملكية ، الرباط، ط3، 1420هـ / 1999م ، ص24 .

[6]- ابن غازي: الروض الهتون، ص 24 .

[7] - ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة ، تح/ عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، 1987 ، ص358 .

[8]- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، مصر ، 1985م ، ص 140 .

[9]- الكاوني: آسفي وما إليه قديما وحديثا ، طبعة مصر، 1953، ص 172 . حول الآثار المتبقية لهذه القناة أنظر Allain(ch); Reconnaissances archeologiques dans le massif des Rehamn Bahira et la dans Hesp.1954.vol.11.P155-182.

من الاستمرار خلال فترات الجفاف ، حيث أقدموا على حفظ المياه في الآبار والصهاريج [1]. وكان أضخمها صهريج المنارة [2]. كما شيد يوسف بن عبد المؤمن بن علي عددا آخر في مدينة الرباط [3]. ونتيجة لما سببته الهجرات الريفية من تدهور اقتصادي ، فطنت الدولة الموحدوية إلى ذلك ، وعملوا على تشجيع الفلاحين للبقاء في أراضيهم ، فأمر الخليفة عبد المؤمن سكان القرى بالرجوع إلى مزارعهم قصد فلاحتها ، كما ونهيت الجيوش الموحدية عن تجنب الأراضي المزروعة أثناء تحركاتهم [4]. وفي المنحى ذاته أصدر الخليفة عبد المؤمن قانونا سنَّ فيه عقابا لكل من يلحق ضررا بالزرع [5]. وسعوا إلى تقديم المساعدات للمزارعين في أوقات المجاعات بحيث كانت تفرق " للقوي بأجر وللضعيف بلا ثمن " [6].

وأدرك حكام الموحدون الأوائل أن استقرار دولتهم يتوقف على الانتعاش الاقتصادي ، والتوازن الاجتماعي ، وذلك بتوافر الدولة على موارد مالية ضخمة . الأمر الذي دفع عبد المؤمن إلى اتخاذ قرار حاسم وذلك " بتكسير بلاد إفريقية والغرب وكسّرها من بلاد إفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولا وعرضا فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرقات والحزون ، وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع والورق " [7].

ونتيجة لثقل العامل الاقتصادي في حل أزمة المجتمع سعى الموحدون إلى إدخال البادية في اقتصاد السوق مثل تادلا ، و داي ، فكانت الدكاكين في داي كثيرة ومتخصصة " وعليها إقبال كبير حتى إن بعضها يضطر فيها الزبون إلى

---

[1] - مجهول: الاستبصار، ص 140 .

[2]- Deverdun(G); Marrakech des origins a 1912,et techniques Nord Africaines . Rabat.T.1.P.195.

[3]- سحر عبد العزيز سالم: مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي منذ نشأتها حتى نهاية عصر بني مرين ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، ط1، 1966، ص 105 .

[4]- ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أهل الزمان، تحقيق : محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990م ، ص 169 .

[5]- ابن القطان: نظم الجمان، ص 169 .

[6]- عز الدين موسى: النشاط ، ص 185 .

[7] - ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص260 .

انتظار دوره لقضاء حاجته هذه التجارة تشعبت وتعقدت حتى أصبح لها محتسب على غرار المدن الكبرى " [1].

وتشير النصوص إلى توالي الأعطيات الرسمية في ظل الكوارث الطبيعية ، فقد أدت الكوارث المتوالية على المغرب في عهد الخليفة عبد المؤمن إلى إحصاء عدد المنكوبين والمحرومين ، وذلك لمعرفة المتضررين وإمكانية توزيع الأعطيات بشكل يستفيد منه الجميع ، ففي سنة 566هـ/1171م، " تصدق أمير المؤمنين على الضعفاء والوافدين والغرباء ، وجاد عليهم بجوده كالسحابة الوطفاء " [2].

كما أن وجود، ولاية مخازن الطعام ، وسط المؤسسات الإدارية للدولة ينبأ بوجود نظام محكم يعني بالنكبات والكوارث ، و يؤكد أن الموضوع غير مغيب عن بال الدولة، ويدعم فرضية وجوده على أعلى المستويات الرسمية .

كان الإشراف على هذه الولاية يتم من قبل عمال المدن وولاة الأقاليم ، وأطلق على القائم بها " صاحب الطعام " [3]. أو " خازنه" [4].

ورغم أن الإشراف على هذه الولاية كان يتم من قبل العمال ، إلا أن المصادر تربط هذه الولاية بالسلطة العليا للبلاد ، فيذكر ابن عذارى أثناء حديثه عن حركة أمير المؤمنين الناصر الموحدي عبارة " مخازن السلطان " [5] ، وبنفس المعنى أورد ابن مرزوق أن السلطان أبا الحسن المريني كان " يخرج زرعه المختزن " [6].

ويؤكد ذلك أن صاحب هذه المهمة كان يعين من قبل السلطان نفسه ، حيث عين الخليفة المنصور الموحدي سنة 585هـ/1189م، " السيد أبو الحسن بن العم أبي حفص على تلمسان ، ومكنّ يده في المخازن بوجوه الإمكان " [7].

---

[1]- محمد حجاج الطويل: النشاط الاقتصادي في تادلا خلال العصر الوسيط ، سلسلة ندوات ومناظرات تادلا المجال الثقافة ، المملكة المغربية ، جامعة القاضي عياض ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بني ملال ، 1992م ، ص 45 .

[2]- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص421 .

[3]- ابن عذارى: البيان، ص137 .

[4]- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج392/7.

[5]- ابن عذارى: البيان، ص259 .

[6]- ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1401هـ / 1981م ، ص 191.

[7]- ابن عذارى: البيان المغرب، ص201 .

ونظرا لأهمية هذه الولاية وإدراجها ضمن الأولويات ، لم تتوان أجهزة الدولة في إنزال أشد العقوبة بالمقصرين والعابثين بها ." وغدت حسبة الطعام من أهم دواوين الدولة " [1].

ومن ذلك أن الخليفة أبا يعقوب يوسف الموحدي تفقد المخازن سنة 579هـ/1183م، - وهو عام مسغبة – وذلك لتوزيع الطعام على المحتاجين . فثبت للمخزن تعرض بعضها للنهب من قبل عمالها ، والمشرفين عليها، فقام الخليفة بمحاسبة " سائر العمال وكان عددهم ثمانية عشر عاملا ... فاستأصل أموالهم ورد للمخزن ضياعهم ورباعهم " [2].

ومن الجرايات التي تحسب للخليفة الموحدي المنصور يعقوب بناؤه للبيمارستان في مراكش ، وذلك سنة 535هـ /1140م، حيث يعاين فيه المرضى بما أعد لهم من " المنازه والمياه والرياحين والأطعمة الشهية والأشربة المفوهة فتنعشه من حينه " [3].

كما سعى الخلفاء الموحدون إلى إقامة العدل بين الرعية [4]، فكان الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور يرسل كتبه إلى الولاة والعمال ، يأمرهم بإحقاق العدل وإنصاف الناس ، كما بدأ بحملة تفتيشية في مدينة اشبيلية ، وذلك سنة 593هـ/1196م ، بعد أن أكدت له الأخبار بظلم الولاة والعمال للرعية ، حيث " ابتدئ التحقيق مع أبي سليمان داوود بن أبي داوود ، وتولى الإشراف على محاسبة أبو محمد عبدالله بن يحيى وأبو عبدالله ابن الكاتب ، ووضع تحت تصرفهما خمسون كاتبا واستمرت عملية التحقيق ستة أشهر انتهت بإدانته فأغرم مبلغ مائة وخمسون ألفا، اتهم بضياعها من عمله ، كما أغرم مبلغا كبيرا من ماله الخاص " [5].

نظرا لتوالي سنوات الجفاف والكوارث في العصر المريني ، وخاصة في الربع الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، فقد وقف الخلفاء

---

[1]- عز الدين موسى : النشاط ، ص185 .

[2]- ابن عذارى: البيان، ص 158 .

[3]- الحميري: الروض المعطار، ص541 .

[4]- حول جلوس الخليفة للمظالم ، انظر ، القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه ، محمد حسن شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت)، مجلد140/5 .

[5]- مراجع عقيلة الفناوي: سقوط دولة الموحدين ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1409هـ/1988م، ص 241 .

بحزم تجاه هذه النكبات ، وحاولوا ما أمكن للتخفيف عن كاهل الناس ، وعدم تثقيلهم بما لا يطيقون . فقد عانى المجتمع خلال مجاعة (724-725هـ) اثقالات مادية نتيجة لغلاء أسعار القمح ، بسبب استفحال المجاعة . فما كان من السلطان أبو سعيد عثمان (709-731هـ/1309-1331م) إلا أن عبأ جهود الدولة لمساعدة المنكوبين ، حيث أمر أن يباع مدّ القمح بأربعة دراهم بدلا من خمسة عشر درهما [1].

ويبين النص التالي لابن أبي زرع الأثر العميق الذي خلفته الكوارث المذكورة على المجتمع ، وخاصة طبقة العوام ، كما يشي بوجود برنامج تضامني على أعلى المستويات الحكومية ، بهدف الحفاظ على الانفراج الاقتصادي والتوازن الاجتماعي، ولهذا " أمر بالصدقات فلم يزل يفرقها بطول الشدة ، يفرقها الثقات على حارات المدينة فيعطونها أهل الستر والبيوتات ، وذوي الفاقات والحاجات ، كل على قدر حاله وضعفه ، فكانوا يأخذونها من دينار ذهبا إلى ربع دينار " [2].

وفي أثناء حصار الجزيرة الخضراء أمر السلطان أبو الحسن ببيع الزرع المختزن بنفس سعره قبل مدة الحصار ، كما وجدت في فاس مخازن حكومية تشتمل على مطامير أعدت للغلال [3].

ويؤكد نص ابن مرزوق من جديد وجود برنامج رسمي لمكافحة الكوارث الطبيعية التي عصفت بالمغرب زمن حكم السلطان أبي الحسن المريني ، (731-794هـ/1340-1348م) ، " وكم من سنة مسنهة عال فيها إمامنا - رضي الله عنه – محاويج أهل بلاد المغرب عموما ، يخرج زرعه المختزن الخاص به ، فيقيم به أود المحاويج عموما في كل ليلة بطول الجدب "[4].

وبنفس الوتيرة كان السلطان أبو عنان (749-759هـ/1348-1358م) "فكان يطعم الطعام بين يديه ويتولى القيام عليهم بنفسه ويلزم قواد قصب البلاد بذلك طول الجدب " [5].

---

[1]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ، ص 530 .

[2]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ، ص 530 .

[3]- محمد المنوني: نظم الدولة المرينية ، مجلة البحث العلمي ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، العدد 4-5،السنة الثانية ، (1385هـ/1965م)، ص 252 .

[4]- ابن مرزوق: المسند ، ص 191 .

[5]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ، ص 529 .

كما اهتم المرينيون بتنظيم المياه وتزويد المدن بها ، وذلك عن طريق حفر الأودية ، ومدّ الأنابيب ، فكان لمكناس شبكة مياه طبيعية كالعيون والأودية التي جلبت مياهها من طرق القنوات على مسافة خمسة كيلو مترات من المدينة فتسقى بها الدور والمساجد والفنادق ، وتميزت فاس بشبكة متقنة من المياه فكانت تسقى من وادي الجواهر (وادي فاس) ، بينما تسقى فاس الجديدة من عين عمير[1]. وبالمثل شيدوا سداً في وادي بوطوبة بفاس للتحكم في تنظيم المياه ، إلى جانب اهتمامهم بجر قنوات المياه، ومدّ أنابيب فخارية لصيانة جداوله عبر مسافات طويلة [2].

وشهدت هذه الحقبة استعمال النواعير على نطاق واسع ، فكان نهر سوس مثلا يسقي تارودانت بواسطة قنوات ونواعير تجذب الماء لري الحقول والبساتين [3]، وكانت النواعير من الضخامة ، فكانت ناعورة قصر فاس الجدية يبلغ قطرها 26 مترا ، وتتولى نواعير فاس رفع الماء من النهر ثم تلقي به في قنوات تمتد على سور المدينة ، فتسقى منه القصور والمساجد والبساتين [4].

كما شهد العصر المريني ظاهرة واسعة في المبرات والخيرات على أيدي الحكام ، ويعد عهدي السلطان أبو الحسن المريني وابنه أبو عنان من ألمع العهود المرينية ، لما أوثر عنهم من الصدقات والمساعدة للفقراء والمنكوبين . فقد قام السلطان أبو الحسن المريني بإنشاء العديد من المدارس المختلفة سواء منها في بلاد المغرب الأقصى ، أو الأوسط ، كمدرسة الحسنة في تازى ، وفي مكناسة وسلا وسبتة وطنجة ، ووضع لها الأحباس ، وأجرى على الطلبة المرتبات ، والمعونات ، علاوة على تحبيسه لبعض الكتب النفيسة [5].

ووضع السلطان للأيتام محرث زوجين ومجباهما في كل وطن للاستغناء عن حاجة الناس وعالتهم ، وفي كل عاشوراء من كل سنة كان يأمر بجمع الأولاد

---

[1]- إبراهيم حركات: الحياة الاقتصادية في العصر المريني ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس، الرباط ، العدد 3-4 ، 1978، ص133 .

[2]- الجزنائي: أبو الحسن علي (ت ق 8هـ)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط ،196م، ص 78 .

[3]- إبراهيم حركات: الحياة الاقتصادية، ص 132 .

[4]- حول الناعورة بفاس أنظر ، ابن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تح/ محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1423هـ/ 2002م ، ص 176 .

[5]- ابن مرزوق: المسند، ص405-407 .

الفقراء ويقوم بختانخهن ويكسوه قميصا " ويعطي كل واحد عشرة دنانير وما يكفيه من الطعام " [1].

كما فطن السلطان أبي الحسن إلى ضرورة الاهتمام بطرق المسافرين والقوافل التجارية فأمر بتعميرها من قبل السكان وأن يجري لهم إقطاع من الأرض يلتزمون فيها ببيع ما يحتاجه المسافر [2].

وعلى نفس النهج التضامني سار خلفه السلطان أبي عنان فقد أجرى " الصدقات على المساكين بكل بلد من بلاده على الدوام ومنها كسوة المساكين والضعفاء والعجائز والمشايخ.." [3].

إن مثل هذا النص على الرغم من المبالغة فيه ، لكنه يؤكد تضامن الحكام مع المجتمع ، وسعيهم الدؤوب إلى إصلاح البنية الاجتماعية المخلخلة .

وإلى جانب هذه الحلول الوقائية، سعى الحكام المرينيون إلى مساعدة المرضى والتخفيف عنهم ، وذلك من خلال بناء البيمارستانات وتقديم الأدوية والعلاج بالمجان ، ليستفيد منه أكبر قدر ممكن من أصحاب الأمراض والعاهات[4]. وكان المهتمون الرئيسيون بهذه المبرات ثلاثة وهم السلطان يعقوب بن عبد الحق ، حيث بنى البيمارستان للمرضى والمجانين ، ورتب الأطباء بتفقد أحوالهم ، وأجرى عليهم المرتبات والنفقات ، كما أجرى على الجذامة والفقراء مالا معلوما يأخذونه من جزية اليهود [5].

وقد جدد السلطان أبو الحسن هذا البيمارستان وأجرى عليه جرايات كثيرة ، وهو الشيء نفسه الذي فعله السلطان أبو عنان ، حيث أجرى الأوقاف الكثيرة لمؤن المرضى ، وعين الأطباء لمعالجتهم والتصرف في مطالبهم [6].

---

[1]- ابن مرزوق: المسند، ص 420 .

[2] - المصابن مرزوق: المسند، ص 429 .

[3]- ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد إبراهيم اللواتي (779هـ)، رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ، 1384هـ/1946م، ص 663 .

[4]- حول حقوق المرضى والجذامى في أوروبة في الحقبة الوسيطة وخاصة قي فرنسا ، أنظر. Vovell(Michel);La mort et l occident de anons jours, editions Callimard et Panth eons,Paris 1983,P.101.

[5] - مؤلف مجهول: مفاخر البربر ، دراسة وتحقيق ، عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق، القاهرة ، ط1، 2005م ، ص 45 .

[6]- مجموعة من الباحثين: مذكرات من التراث المغربي ، ص 72 .

أما مشفى سيدي فرج الذي يعزى بناؤه إلى السلطان يوسف بن يعقوب عام 685هـ/1286م ، فقد أوقف عليه أوقاف كثيرة زادت هذه الأوقاف في عهد السلطان أبو عنان ، وإضافة إلى هذه المهمة الإنسانية للمشفى فقد كان ملجأ لمعالجة طيور اللقلاق ، فكانت تصرف جرايات لمن يضمده ويطعمه [1]. ما يعني أن مثل هذه الأعمال فتحت المجال لمحاربة البطالة ، وتوظيف اكبر قدر ممكن من الناس .

من كل ما سبق يتبين : إن التضامن الرسمي خلال الحقبة المعنية بالدراسة كان قائما على عدة مراحل ، ما يؤيد وجود برنامج تكافلي على أعلى المستويات، هدفه رأب الصدع داخل البنية الاجتماعية .

كما يشير إلى وعي السلطة الحاكمة للآثار المترتبة على الهزات السوسيو اقتصادية ، لذا دأب الحكام – خلال الحقبة مدار البحث – إلى إيجاد صيغ وحلول تضمن ما أمكن تسوية الأوضاع المعيشية للمنكوبين ، وذلك من إخلال إعانتهم ماديا ومعنويا . وتمثلت بعدة عوامل كالصدقات والمبرات على الفقراء من خلال كسوتهم وإطعامهم ومدهم بالمال، ومحاربة البطالة، والتي تؤدي بأصحابها أحيانا للسرقة والنهب والتسول ، وتوظيف أكبر قدر من الناس للقضاء على البطالة ، ومحاولة محو الأمية من صفوف العامة ، وذلك بتقديم الكتب بالمجان . وتجلى ذلك أيضا بتقديم الأدوية والعلاج بالمجان للفئات المستضعفة .

الأمر الذي يعني أن هذه المساعدات ساهمت وإلى حد بعيد في إيجاد حلول مكنت طبقة العوام ، من إعادة تركيبتها السوسيو اقتصادية ، والانخراط داخل المجتمع كإحدى فئاته الأساسية .

2- الحلول على المستوى الشعبي (تكافل المجتمع)

خلفت المجاعات آثارا اقتصادية واجتماعية ، ونفسية سيئة ـ تركت بصماتها بوضوح في ذاكرة الناس . فتوصلوا إلى اتخاذ إجراءات وقائية واحتياطات احترازية ، لمواجهة الأخطار المستفحلة . فعلى سبيل المثال كان لمجاعة 637هـ/1239م، التي نزلت بأهالي سبتة ، سلوك واضح لدى أهاليها

[1]- مجموعة من الباحثين :مذكرات من التراث ، ص 73 .

فصاروا " يختزنون الطعام في المطامير في كل عام حيطة على أنفسهم من مثل هذه المجاعة التي لم يعهد لها مثيل في الأعوام الفارطة قبلها " [1].

وأشار ابن خلدون إلى تنافس سكان فاس في خزن ما يكفيهم من المؤن " حتى إن الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة ، ويباكر إلى الأسواق لشراء قوته ليومه مخافة أن يزرأ شيئا من مدخره" [2].

ويظهر أن الخوف من المجهول دفع الناس إلى استخدام المرافق العامة ، وأماكن التدريس ، فقد سئل الفقيه العبدوسي عمن عمد إلى اقتحام المدارس وقام بتحويلها كمستودعات للحبوب [3]. في حين قام البعض باتخاذ أفنية دور العبادة (المساجد) مخازن للحبوب [4].

ويبدو أن ما علق في أذهان العامة من أضرار نجمت عن الكوارث الطبيعية ، دفعت البعض إلى سلوكيات غريبة ، كاتخاذ المراحيض بيوتا لخزن الحبوب والأطعمة ، حيث سئل الفقيه البرجيني عن رجل قام باحتلال " قصبة الحبس أسفلها مرحاض فاتخذها... للخزين" [5].

دأب الناس في مجتمع الغرب الإسلامي الوسيط ، ضمن رهانهم الدائم مع التحولات المناخية إلى تلبية حاجاتهم من المياه ، وذلك إما عن طريق حفر الآبار أو بناء السدود ، أو مدّ السواقي أو إقامة الصهاريج . حيث قام المراكشيون بتخزين مياه الأنهار مثل (نهر نفيس و تانسيفت) في صهاريج كبيرة كانت تدعى " البرك " [6]،وهي خزانات كبيرة لتجمع " ماء سيول الأنهار " [7].

ومنها أيضا الصهريج الكبير الذي وصفه العمري قائلا : " والصهريج في لغة أهل المغرب البركة ، وهب بركة عظيمة عليها سور وباب يصب فيها النهر .. الداخل إلى مراكش ، وفيها يوزع بقياس معلوم على قصور الناس ثم ينحدر

---

[1] - ابن عذارى: البيان المغرب، ص 334 .

[2] - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص93 .

[3]- الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ،خرجه ، جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1401هـ / 1981م ، ج262/7 .

[4]- الونشريسي: المعيار، ج330/7 .

[5]- الونشريسي: المعيار ، ج231/7 .

[6] - السملالي: الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تقديم، عبدالوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م، ج131/1.

[7] - السملالي: الاعلام، ج1/ 131.

بقية الماء وفي نهر يشق المدينة من جهة أخرى في وسط الأسواق .. وفيها برك تصب فيها المياه " [1].

وتشي النصوص بوجود المحسنين الذين قدموا ماء الساقية هبة لمن يحتاج [2]. وشهد المجتمع مدار البحث ظاهرة وقوف المحسنين إلى جانب الفقراء والمنكوبين . حيث تشير النصوص أن المساعدات المالية طالت فئات كثيرة من الناس ، فقد وقفت الشخصيات المرموقة " من أكابر التجار وذوي الأموال الطائلة " إلى جانب المنكوبين ممن عصفت بهم الكوارث والأوبئة [3].

وكان للصدقة أبعادا أخرى فكثيرا ما ساهمت في القضاء على البطالة ، وإيواء المشردين ممن لا مسكن لهم [4].

وساهمت الوصايا المقدمة من قبل البعض في رأب الصدع داخل المجتمع ، كوصية البعض بإخراج المال لفقراء بلده [5]. ووصية الشخص بإخراج الخبز وتوزيعه على المحتاجين لمدة سبعة أيام من وفاته [6]. كما أن البعض كان يوصي عند سفره بإخراج ثلث ماله للفقراء [7].

وشملت المساهمات الفردية علاج الفقراء بالمجان " حيث كان قاضي إشبيلية علي بن أحمد الزهري يواسي المرضى " ويصف لهم الأدوية ويعالجهم بالمجان " [8].

3- الحلول على المستوى الديني [1]:

[1]- العمري: ابن فضل الله العمري (ت 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988م ، ص 133-134 . كما ابتكر الأندلسيون طرقا جديدة كنظام وكالة الساقية وذلك لاستغلال المياه بطريقة تكفل التوزيع المتماثل . Dufourcq;La vie quotedienne dans L Euroupe sous La domination arab,Paris1978,P.94.

[2]- الونشريسي: المعيار، ج8/41-42.

[3]- الونشريسي: المعيار، ج6/6 .

[4]- اللونشريسي: المعيار، ج8/65 .

[5] - البرزلي: فتاوى البرزلي، تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط1، 2002م ، ج5/589 .

[6]- البرزلي: فتاوى: ج5/593 .

[7]- البرزلي: فتاوى: ج5/593 .

[8]- محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحدي ، مطبعة الشمال الإفريقي ،(د.ت) ، ص 223 .

أبانت الكوارث والجوائح، ردات فعل داخل المجتمع ، مدار البحث ، تركت آثارا سلبية ساهمت في تمزيق الروابط الأسرية ، وتعرية العلاقات الاجتماعية .

فظهرت صيحات الزهاد والمصلحين آنذاك طلبا للتوازنات الحياتية [2]، لذا فقد جاء الرد سريعا من قبل شريحة من الناس الذي تبنوا هذا الجانب . بحيث شهد المجتمع تكافلا اجتماعيا واسعا ، حاولت فيه تلك الأطياف الحدّ من المشاحنات والأزمات الاجتماعية ، والتي كانت وليدة ظواهر طبيعية، وبشرية، انسحبت في المجتمع برمته .

4- المتصوفة :

أفرزت الكوارث فئات طفيلية كانت تبحث عن الإثراء السريع ، ولا تتورع في استغلال الآخرين ، والكسب غير المشروع ، غير آبهة للأخلاق ولا للدين . فنشأ عن ذلك فوارق طبقية ، ازدادت معها حالة العامة سوءا وظلما . وفي المقابل برزت ظاهرة التصوف ، والتي كانت بمثابة ملجأ يقصده المحرومون والمهمشون .

اتخذ التصوف في المغرب الإسلامي، سبيلا واضحا إلى جميع مرافق الحياة ، واستطاع أن يستقطب الاهتمامات الفكرية ضمن الوسط الاجتماعي ، وأن ينسحب على طبقات الشعب ، بمستوى ملك معه زمام المبادرة في صوغ قوانين الحياة الاجتماعية ، والسياسية [3].

ومرد ذلك ما اكتسبه المتصوفة أنفسهم من صفات أخلاقية ، وخوارق غير طبيعية ، ملكوا من خلالها قلوب الناس واستقطبوا بها عقولهم .

اتخذ المتصوفة من الفقر رداءاً ، وسترا لهم ، وكانت لهم في ذلك أقوال متعددة ، فقد ورد عن أحدهم انه كان يقول : " الفقر لباس الأحرار " [4]. وقالوا : "

---

[1]- نقصد بذلك المتصوفة، لأنها الجهة العليا التي تظهر أوقات الأزمات، الكفيلة برأب الصدع وإعادة هيكلية المجتمع، وفق ما تقتضيه المصلحة العامة.

[2]- أبو اليزيد العجمي : الزهاد والمسلمون ومجالات العمل الإسلامي ، مجلة المسلم المعاصر ، إصدار مؤسسة المسلم المعاصر ، بيروت ، العدد 33، 1403هـ/1983م ، ص 71 .

[3] - حبيب القيسي: نظرات في بعض ملامح العامة للحياة الروحية والفكرية في المغرب ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مطبعة المعارف ، بغداد، العدد 16 ، 1973م، ص 8 .

[4]- السلمي: طبقات الصوفية ، تح/ مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1429،1هـ/1998م،ص 315

الفقير الصادق الذي يملك كل شيء ولا يملكه شيء " [1]. ودعوا للتخلي عن الثروة والمال ، ووصفوه بعدة أوصاف مثل " أوساخ الناس" [2]، و" الشياطين " [3]، وتمنعوا عن مدَ اليد للناس ، فكانوا يتعففون عن أموال البشر [4]. ومن ميزاتهم أنهم " يشفقون على يتامى المسلمين ، ويطعمون المسكين ، ويفرجون كروب المعسرين " [5]. كما أوثرت عنهم " كرامات وفضل " [6]. بحيث أن النصوص لا تكاد تذكر أخبار أحدهم إلا وتصف كراماتهم الخارقة [7].

وكان سعي رجال الإصلاح إلى أعمق من ذلك ، بحيث أنهم دأبوا على تأسيس شبكة من العلاقات الإنسانية المتكافلة تحت مؤثرات دينية ، تدعمها كرامات الأولياء، ما زاد من نفوذهم وهم أموات ، لذا فقد أشارت المصادر للتبرك بهم ، ومن ذلك أن أبي يعلى الهزرجي لما توفي تفاتنت القبائل عليه " فكل قبيلة قالت إنما ندفنه عندنا لننال بركته " [8]. كما أن جنازة أحدهم كانت تشهد تزاحما من قبل الناس والسلاطين[9]، وغالبا ما تشهد الجنازة أياماً خيرة كهطول المطر [10].

وتواتر في كتب المناقب " أن ثلاثة من صلحاء المغرب وقع بهم النفع عند الممات وهم الشيخ أبو يعزى، والشيخ أبو العباس السبتي وأبو مدين " [11].

---

[1]- السلمي: طبقات، ص 378 .

[2] - ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف ، تح/ أحمد التوفيق، طبعة البيضاء 1984م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، ص 247 .

[3]- ابن الزيات : التشوف، ص 247 .

[4] - أبي عمرو عثمان: المقتضب من كتاب سمط الجمان وسقط الأذهان ، تعليق ، حياة قارة ، 1423هـ/2002م، ص 120 .

[5]- البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تح/أحمد سعيد أعراب ، الطبعة الملكية ، الرباط ، 1420هـ/1982م، ص 21 .

[6]- العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (الذيل) ، تحقيق وتعليق ، أحمد فريد الزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ص 130 .

[7]- العسقلاني: الدرر، ص 22،46،39.

[8]- ابن الزيات: التادلي، ص225 .

[9]- محمد بن عسكر الشفشاوني : دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، تح/ محمد حجي ، مراجعة عبد المجيد خيالي ، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، ط3، 1424هـ/2003م، ص 126 .

[10]- ابن الأبار: الحلة السيراء، تح ، عبد السلام الهراش ، دار المعرفة ، الدار البيضاء ، (د.ت) ، ص 126.

[11]- كنون: الدر المنظوم في نصرة القطب المكنون ، مخ ، خ.ع ، الرباط ، ميكروفيلم ، ضمن مجموع ، رقم (1991د)، ص 38 .

برزت فلسفات خاصة للمتصوفة ، هدفها إشاعة الأمان وتحقيق التكافل الاجتماعي وإزالة التمايز الطبقي ، فسعوا إلى إبراز دور الصدقة كعلاج يخفف حرمان الفقراء ، إذ عانى فقراء فاس في إحدى السنوات العجاف من ضنك العيش ، فأخرج علي بن خلف بن غالب (ت568هـ) على ما صار له من تركة أبيه وقدرها " اثني عشر ألف دينار فتصدق بها كلها " [1].

ولما كان عام المجاعة بالمغرب سنة 591هـ ، قام الولي أبو عمران (ت592هـ) بالتصدق بجميع ماله على الفقراء والمساكين ، وأولاده في ضيق شديد[2].

وكان الشيخ محمد بن موسى الحلفاوي الاشبيلي (ت758هـ) معاصرا للطاعون الأسود الذي اجتاح العدوتين " فتكلفت صدقته بجميع مؤن المحتاج من قوت ومن لباس مستوفي الجزئيات في الدفعة الواحدة فيكفيه السؤال طويل مدة " [3]. بمعنى أن كل واحد من المتصوفة أضحى له فلسفة خاصة ، في الصدقة والإنفاق على المعسرين .

وكان لأبي العباس قدرته الغريبة في مساعدة الناس ، ففي إحدى سنوات الشتاء بقي يشعر بالبرد ، رغم ما ألقي عليه من الأغطية ، وذلك لأن إحدى العائلات كانت تعاني من ألم البرد ، ولا تجد إلى ذلك سبيلا ، فأمر بإعطائها اللحف والأغطية لمساعدتهم على قضاء فصل الشتاء [4] .

لم يدخر المتصوفة جهدا في محاولة التخفيف عن الفقراء بشتى السبل ، حتى وإن كان ذلك عن طريق الرؤى والأحلام [5].

والظاهر أن ما تعرض له الناس جرّاء ما نابهم من مصائب في أيام المسغبات كالمجاعات واحتباس المطر ، وظهور الجراد ، وانتشار الوباء دفعهم للالتجاء إلى المتصوفة التماسا لبركتهم وكراماتهم . وفي المقابل تحدثنا النصوص عن عادة خروج الفقهاء وتكافلهم مع المجتمع لمحاربة تلك الظواهر ، ومساندة أفراد المجتمع المنكوبين .

---

[1]- التليدي: المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان ، المغرب ، ط1421،3هـ/2000م،ص 47 .

[2]- ابن الزيات: التشوف، ص 113،298.

[3]- الحضرمي : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب السلسل العذب والمنهل الأحلى، تح/ مصطفى النجار، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، مطابع سلا، (د.ت) ، ص 51.

[4]- ابن الزيات: التشوف، ص466 .

[5]- إبراهيم القادري بوتشيش: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 2006م، ص 119 .

ومن ذلك ما تشكى به أهالي تونس من ضرر أصابهم نتيجة هجوم الجراد على مزروعاتهم ، فالتجؤوا إلى الفقيه أبو عبدالله الهواري ، فما كان منه إلا أن قلبها ونظر إلى بطنها ورماها بالأرض ، فلم يحن آخر اليوم حتى لم يبق جرادة واحدة [1].

وتجلت المساعدات أيضا في التخفيف عن المزارعين في تغيير مجرى اتجاه الريح ، وذلك أن أبو العباس السبتي ، خرج ذات مرة إلى بستان خارج باب دكالة ، فشكا إليه أحد العمال الضرر الذي لحق الفلاحين بسبب الريح الشرقية ، وطلب مساعدته لتصير الريح غربية ، فما كان من الولي إلا أن " فكر ساعة ثم قال استنشقوا الريح .. فإذا هي غربية " [2].

إن مثل هذه النصوص تعكس بعمق مكانة الولي ، والحالة النفسية التي وصل إليها الناس ، بحيث أنهم وجدوا ملاذهم ومستغاثهم في هذه الطبقة التي حاولت ما أمكن إسعاد المحرومين ،وتخفيف الظلم عنهم ، نتيجة ما تعرضوا له من انتكاسات ، كونهم الحلقة الأضعف في تركيبة المجتمع . فقد اضطرت امرأة في إحدى المجاعات إلى بيع دارها وأوكلت الدلال في ذلك فقام الدلال وعرض الدار على الولي أبو العباس الهواري (ت قبل 540هـ) وذكر له أن المرأة اضطرت إلى بيع الدار بسبب الحاجة ، ومعها في الدار بناتها ، ولولا الحاجة لما اضطرت لذلك ، فخرج الولي وبعث للمرأة بخمسمائة دينار لتسد بها فاقتها وفقرها [3].

ونظرا لأهمية الدقيق ومركزيته الاقتصادية في حياة المجتمعات ، فقد صورت كتب المناقب إمداد المتصوفة للناس بالدقيق، والبركة فيه . ومن ذلك ما شهد به محمد بن ويحلان خادم الولي أبو زيد الهزميري(ت 707هـ) وذلك حين عصفت بفاس المجاعة الشديدة سنة 673هـ ، قال : " فأتيت بحمل من دقيق من دار الشيخ في شهر جب ، فقال لي : اجعله في خابية ... فأدخل يده في الدقيق ثم أخرجها،وقال لي إياك أن يراه أحد غيرك أو يأخذ منه شيئا ، فكان الناس يأتون

[1] - ابن الزيات: التشوف، ص180-181.
[2]- ابن الزيات: التشوف، ص 474 .
[3]- ابن الزيات: التشوف، ص153 .

بالجموع الكثيرة من المائة إلى المائة والخمسين ونحو ذلك ، فما زلت أنفق منه إلى أن دخل المحرم " [1].

وما يظهر أهمية الإطعام في وقت المجاعات ، وانعدام الأقوات ، ما شاهده أبو الحسن الشاذلي (ت628هـ) من ضنك العيش لدى دخوله مدينة تونس " فوجدت بها مجاعة شديدة والناس يموتون جوعا في الأسواق ، فأشفقت على خلق الله فأتيت خبازا فقلت له عدَّ خبزك ، فعده عليّ فناولته للناس فتناهبوه ... فأعطيته برنسي وكرزيتي رهنا في ثمن الخبز " [2].إن مثل هذا النص يعكس تمزق العلاقات الاجتماعية بين الناس ، ووقوف المتصوفة إلى جانبهم رغم عدم امتلاكهم للمال .

ونظرا لما أصاب البلاد ، مدار البحث ، من سنوات محل وقحط ، لقلة الهطولات المطرية ، وللضرر الحاصل على الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، ونتيجة عدم كفاية المشروعات المائية من قبل الدولة . لجأت العامة إلى المتصوفة لالتماس بركتهم وكراماتهم في الحصول على المياه .

فقد أصاب أهالي نفيس جدب فذهبوا إلى الفقيه واجاج بن زللو اللمطي للاستسقاء فأضافهم ثلاثة أيام " فلما عزموا على الانصراف وجاؤوه ليودعوه .. قال إياكم أن ترجعوا من طريقكم الأولى التي أتيتم فيها ... لتسكنوا في الغيران والكهوف من الأمطار ودامت عليهم الأمطار فلم يصلوا إلى بلادهم إلا بعد ستة أشهر " [3].

كما استسقى الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالله لأهالي سجلماسة ، ولم يكن ذلك موعد المطر ، وصعد المنبر يوم الجمعة خطيبا ، ولم ينزل عنه " حتى سقي الناس" [4]. الأمر الذي يعكس سرعة المتصوفة على استجابة الدعوة [5].

ويعكس نص الشيخ ابن مشيش – التالي- تأكيد المتصوفة على ضرورة التكافل الاجتماعي ، والتضامن مع الممحلين بغض النظر عن الأسباب ، لذلك فإن العطاءات الروحانية كانت عميقة الأثر في نفوس العامة . فقبيل العقد الثاني من

---

[1]- ابن عيشون الشراط: الروض العاطر بأخبار الصالحين من أهل فاس ، دراسة وتحقيق زهراء النظام ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1997م، ص 218 .

[2]- مؤلف مجهول: مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام مشيش ، مخ ، خ.ع. الرباط ، ميكروفيلم ، ضمن مجموع رقم (1484د) ، ص 245-246 .

[3]- ابن الزيات: التشوف، ص 89-90 .

[4]- ابن الزيات: التشوف، ص 140-141.

[5]- أنظر حول ذلك ، ابن قنفذ أنس الفقير وعز الحقير اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي أدولف فور ، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط ، 1956م ، ص 8 .

القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، كان أهل فاس يستسقون مع أميرهم لما أصابهم من الغلاء المفرط ، والمسغبة الشديدة ، فجاؤوا إلى أبو الحسن الشاذلي ليستسقي بهم فامتنع وقال : " لعلكم أصبتم في هذه المسغبة بقدومنا " فلما ذهب مرة أخرى لزيارة شيخه عبد السلام بن مشيش (ت622هـ) في جبل العلم عاتبه الشيخ لعزوفه عن التضامن مع الممحلين ، فرجع إلى فاس والقحط متصل ، فقال الشاذلي : " فعند وصولي لفاس وبت هناك وكان آخر الليل أزعجت وأبرقت ونزل غيث كأنه من أفواه القرب " [1].

ويكشف نص آخر عن اهتمام المتصوفة وبعد نظرهم في مواجهة الأزمات ، وذلك بتوفير المياه للناس من خلال إيجاد صهاريج وحُفر أعدت لمواجهة القحوط وقلة المياه . فقد احتبس الماء عن الناس زمن الفقيه أبو وكيل ابن تاميمونت الأسود ، فصاروا يرحلون إلى بلاد فيها مواضع للمياه ، فكان أبو وكيل يسقي الناس من حفرة " أعدها لماء المطر " [2]. ولعل هذا النص يشي إلى حد ما بدور المتصوفة في مواجهة الضغط الديموغرافي ، والتقليل من ظاهرة الحل والترحال .

وقد حرصت السلطات المركزية – مدار البحث - على ضرورة الاهتمام بالجانب الروحي ، لدعم التضامن الاجتماعي ، وذلك عن بالتنسيق مع المتصوفة ، لتلميع صورة الدولة في مراحل ضعفها وأفول نجمها ، ما يعني أن المساعدات المادية التي وفرتها الدول لم تكن كافية للتخفيف من معاناة العوام ، وأن الرأسمال الروحي كان أشد وقعا في قلوب الناس .

ففي زمن القحط الذي ألم بفاس سنة 711هـ/1331م، قام السلطان المريني أبو سعيد عثمان باصطحاب الصلحاء ، وخرج ماشيا من ضريح الشيخ الصالح أبو يعقوب الأشقر (ت689هـ) ، فدعا الله تعالى ليرحم البلاد والعباد " ولم يرجع من هنالك إلا بالمطر لجميع البلاد " [3].

[1]- مؤلف مجهول: مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام مشيش ، مخ ، خ.ع. الرباط ، ميكروفيلم ، ضمن مجموع رقم (1484د) ، ص 246-247 .

[2]- ابن الزيات : التشوف، ص 235 .

[3]- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص 526-527 .

ساهمت سرعة انتشار الأمراض المصاحبة للكوارث الطبيعية ، علاوة على بروز سلوكيات غير متعقلة [1]، في خلق المناخ العام لسيادة دور المتصوفة ، أضف إلى ذلك محدودية مرافق العلاج " وارتفاع تكاليف التطبيب " بحيث اقتصرت على فئة محدودة [2]. لذا فقد اتجه الناس نحو رباطات الأولياء ، التماسا لبركتهم ، وتخليصا من الأمراض المستعصية ، ولم يدخر المتصوفة جهدا في سبيل تخفيف معاناة ألم المصابين ، وذلك باستخدام كراماتهم الخارقة دون أجرة مقابل ذلك [3]. فيكفي للولي أن يتفل أو ينفث على مكان العلة حتى يبرأ صاحبها ، وقد اشتهر بذلك الشيخ أبو يعزى [4]. وكذلك أبو زكرياء الأسود (ت601هـ) [5]. ومن باب كرامات الأولياء أن ريق الولي كان " رقية لكل شيء " [6]. كما أوثر عن أبو محمد الأبلة في مدينة سلا " إذا لمس بيده مريضا شفي وإذا قرأ في أذن مصروع أفاق " [7].

وتجدر الملاحظة أن تيار المتصوفة خرجوا عن نطاقهم الديني المقتصر على مساعدة الفقراء والمنكوبين ، ليشمل التدخل بالأمور السياسية [8]، حيث تذكر كتب المناقب أن أحد العامة هدّده عامل الأمير علي بن يوسف ، فشكى ذلك إلى الولي عبدالله بن وكريس ، فما مرت مدة قصيرة حتى قضي على العامل [9].

مما سبق : لقد حال والمتصوفة ما أمكن التخفيف من معاناة وبؤس العامة ، ومحاولة إزالة كل الأسباب المؤدية للدّين ، سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية . حتى وإن تم ذلك في بعض الأحيان عن طريق الرؤى والأحلام ، ومن ركبته

---

[1] - استشرى التطبيب الخرافي في بوادي المغرب ، وقد أكد ابن خلدون ذلك فقال: " إن للبادية ... طب يقيسونه في الغالب على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي ولا على موافقة " . ابن خلدون: مقدمة، ص 493.

[2]- أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي ، طبع منشورات عكاظ ، الرباط ، يونيو ، 2001م، سلسلة دراسات وأبحاث ، منشورات جامعة المولى إسماعيل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مكناس ، ص 106 .

[3]- ابن قنفذ: أنس الفقير، ص31 .

[4]- العزفي: دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى) ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1989م، ص 50-51.

[5]- ابن الزيات: التشوف، ص414

[6]- الصومعي: كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى ، تح/ علي الجاوي ، منشورات جامعة ابن زهر ، سلسلة رسائل وأطروحات ، أكادير، ص 123 .

[7]- الحضرمي: السلسل العذب، ص71 .

[8]- محمد مزين: وثيقة جديدة حول توزيع المياه بفاس المدينة القديمة (عدوة الأندلس) في أواخر العصر المريني ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد بن عبدالله ، فاس، العددان 2-3 ، 1979-1980م ، ص 391 .

[9]- ابن الزيات: التشوف، ص 98 .

ديون جراء الأوضاع المتأزمة أدوها عنه ، ومن لزمه ضامن ضمنوه . إنها محاولة لصيانة التركيبة الاجتماعية قدر الإمكان ، وما تلك النصوص إلا صور رمزية حاولوا من خلالها أن يعطوا للناس ، وخاصة علية القوم والأغنياء ، دروسا في التضامن والتكافل الاجتماعي مع باقي الطبقات المنكوبة ماديا . إنها دعوة صريحة لإزالة الفوارق الطبقية ، ومساعدة الآخرين .

5- الأحباس :

نشأ نظام الأحباس مع بداية الإسلام ، وله من الوجهة الاقتصادية دور عظيم في إسهام أصحاب الأموال ، بجانب عظيم من مدخراتهم لمساعدة الناس . والحبوس و الأحباس مصطلح أطلقه المالكية في المغرب والأندلس ، وتضمنته كتب فقههم بأحكامهم المختلفة [1].

لم تقتصر الحوالات الحبسية على الاهتمام بالجانب الديني [2]، فقد أولى المحبسون عناية عظيمة بتحبيس أموالهم من عقارات وأموال وكتب على المساكين ، والضعفاء [3].

ومن ذلك تحبيس الأراضي الزراعية التي تردد صداها في كتب النوازل سواء في المغرب أو الأندلس [4]، ودور السكن [5]، وكتب العلم على الطلبة [6]، والطعام والشراب بمختلف أشكاله [7]، وكذلك المال المحبس على الفقراء [8]. إلى جانب بناء القناطر ومدّ الطرق وتسهيلها ، وهذا ما أحدثه الشيخ أبو إبراهيم إسحاق الأمغاري.

كما ساهمت الأحباس الحكومية ، ضمن برنامج التضامن الاجتماعي ، على انتشال المجتمع من الأزمات الغارق فيها . فقد سعى الخليفة الموحدي يعقوب

---

[1] - محمد عبد الوهاب خلاف: خطة الأحباس في الأندلس ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مركز النشر لجامعة القاهرة ، القاهرة ، العدد 53، مارس ، 1992م، ص 187 .

[2]- عياض: القاضي عياض وولده ، مذهب الحكام في النوازل والأحكام ، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد بن شريفة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1977 م، ص 205 .

[3]- ابن الحاج: نوازل ابن الحاج ، مخ ،خ.ع. الرباط ،ميكروفيلم رقم (55ك) ، ص 74 .

[4]- الونشريسي: المعيار ، ج182/7،157،49.

[5]- الونشريسي: المعيار ، ج59/7.

[6]- الونشريسي: المعيار ، ج264/7،227.

[7]- الونشريسي: المعيار ، ج76/7 .

[8]- الونشريسي: المعيار ، ج44/7 .

المنصور إلى مساعدة الزوايا القائمة على أساس مدّ يد العون للناس في النوائب والأزمات ، فدعمها وذلك بوقف الممتلكات والعقارات ، وتسهيل خدمة مشاريعها فكان من جملة ما حبس " زاوية للفقراء ورباطا ومدرسة " [1]، على زاوية أبي العباس السبتي .

وأولى المرينيون عناية فائقة للأعمال الخيرية المستديمة ، فحبسوا عقارات وممتلكات لتغطية الخدمات الاجتماعية والاقتصادية ، فقد بنى يعقوب بن عبد الحق " الزوايا .. وأوقف لها الأوقاف الكثيرة لإطعام عابري السبيل وذوي الحاجات " [2]. كما أوقف الأمير عبد العزيز (768-774هـ) الكثير من الأحباس ومن أشهر ذلك " خزانة الكتب المشتملة على أمهات الدواوين " [3]. وأحدث السلطان أبي عنان خزانة للكتب في جامع فاس شملت كافة أنواع العلوم والفنون والآداب والأذهان واللسان [4].

لقد دعت الفئات الحاكمة إلى ضرورة الاهتمام بالمجتمع ، وتلبية كافة متطلباته ، وذلك في إطار خطة عملية تهدف إنصاف الفئات المعدمة ، ومساعدتها على الأزمات الحياتية . فأحدث الحكام المرينيون دورا ، ومسكنا للمستضعفين الذين لا مأوى لهم [5]. ومما يدل على استدامة هذه الحلول السوسيو اقتصادية ، ما ذكره الوزان لدى حديثه عن تدنست وتكوليت التابعة لمدينة حاحا ، في إقليم مراكش ، حول وجود ملاجئ كانت معدة للفقراء [6]، كما أحدثوا أماكن لتعريس المكفوفين الذين لا سكنى لهم " فكلما اقترن كفيف بنظيرته أقاما ... مراسم الزفاف " [7]، وشيدوا دورا أخرى لتعريس الفقراء الذين لا مأوى لهم وجهزت الدور بالفرش والأثاث وما يلزم من أمور العرس [8].

---

[1]- المراكشي: الاعلام، ج1/283-284 .

[2]- ابن أبي زرع: بو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط 1972م ،ص 91.

[3] - ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، ط3،1993م،ص 175 .

[4]- الجزنائي: زهرة الآس ، ص 112.

[5]- مجموعة من الباحثين: مذكرات، ص77 .

[6]- الحسن الوزان : وصف إفريقيا، تر/ محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983م ، ج1/99-100 .

[7] - مجموعة من الباحثين : مذكرات ، ص77 .

[8] - مجموعة من الباحثين : مذكرات ، ص 77-78 .

هذا فضلا عن الأحباس الموقوفة على البيمارستانات ، التي اتخذت إلى جانب مهمتها الصحية ، جانبا خيرا تمثل في تغسيل وتكفين الغرباء ، والمستضعفين [1].

يمكن القول : من خلال هذه العجالة إن الأحباس شكلت دعامة وسنداً مهماً ، لنظام الدولة الاقتصادي ، وذلك في التخفيف من نفقات الخزينة المالية ، فقد شغلت دورا عالياً، في تشغيل اليد الفلاحية ، وذلك من خلال توزيع الأراضي على الفقراء والمهمشين ، وساهمت في إحياء الحياة السوسيو اقتصادية ، بحيث أنها قامت بتوظيف طيف واسع من العامة ، داخل المنشآت الوقفية ، فضمنت لهم دخلا جيدا . وخففت وإلى حد ما من أزمة السكن العقاري ، وذلك بما وهب للناس من عقارات سكنية . كما أدت الكتب والمكتبات المحبسة دورا عظيما في تنشيط الوسط الفكري ، وإحيائه .

وكان وراء ذلك وعي ثلة لا بأس بها من الأعيان والحكام ، بضرورة الاهتمام بالإنسان كوحدة أساسية ، ضمن النسيج الاجتماعي المتكامل ، فكان لابد من التضامن مع أفراد المجتمع .

خاتمة

أوضح البحث مدى المحاولات التي قام بها رجال الإصلاح من الحكام والسياسيين والأعيان والمتصوفة؛ لانعاش الواقع الاقتصادي والاجتماعي ، في ظل الأزمات والكوارث التي عصفت بأفراد المجتمع ودفعهم إلى الهجرة والانسياح، وانتشار الفوضى، وغم أن تلك التدخلات انحصرت في ثلة من المسؤولين والأغنياء، كانحصارها في بعض المناطق دون غيرها، لكنها كانت كفيلة برأب الصدع في المجتمع وإيقاف النزيف الاجتماعي ، وسدّ الخلخلة الاقتصادية، علاوة على ذلك فقد تجلت مساعدات المتصوفة على كافة الجوانب الانسانية إضافة إلى التدخل في الجوانب السياسية.

[1] - مجموعة من الباحثين : مذكرات ، ص 74 .

وحقيقة القول رغم أن تلك المحاولات كانت خجولة لم ترق للمستوى المطلوب لكنها ساهمت و إلى حدّ بعيد في التخفيف من أعباء الدولة والمجتمع.

المصادر والمراجع

المخطوطات

- ابن الحاج: نوازل ابن الحاج ، مخ ،خ.ع. الرباط ،ميكروفيلم رقم (55ك).

- ابن هيدرو: ماهية المرض الوبائي وتسمى أيضا الخطبة المكية في الأمراض الوقائية، مخ،خ.ح.الرباط، رقم(9605).

- ابن هيدرو: الاعتبارات النظرية في الأحكام النجومية ، مخ . خ.ع . الرباط ، ميكروفيلم ، ضمن ، رقم (291د)

- مؤلف مجهول: مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام مشيش ، مخ ، خ.ع. الرباط ، ميكروفيلم ، ضمن مجموع رقم (1484د).

- مؤلف مجهول: مناقب الشيخ الكامل والقطب الجامع سيدي عبد السلام مشيش ، مخ ، خ.ع. الرباط ، ميكروفيلم ، ضمن مجموع رقم (1484د).

- مؤلف مجهول: تقييد في الأنواء وشهور السنة ، مخ ، خ.ع . الرباط ، ميكروفيلم ، رقم (2765د)، ص 320-321 .

- كنون: الدر المنظوم في نصرة القطب المكنون ، مخ ، خ.ع ، الرباط ، ميكروفيلم ، ضمن مجموع ، رقم (1991د).

المصادر العربية

- - ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي ،(ت658هـ/1260م ، الحلة السيراء، تح ، عبد السلام الهراش ، دار المعرفة ، الدار البيضاء ، (د.ت).

- ابن أبي زرع: أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت 726هـ) الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور، الرباط 1972م.

- ----------: المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك بني المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مر/ عبد الوهاب بنمنصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2، 1420هـ / 1990 م.

- ابن أبي دينار: محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت 1111هـ)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، ط3،1993م.

- ابن غازي: محمد غازي العثماني (919هـ) ، الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون ، تح/ عبد الوهاب بنمنصور ، المطبعة الملكية ، الرباط، ط3، 1420هـ / 1999م.

- ابن صاحب الصلاة: أبو محمد عبدالملك بن ابراهيم الباجي (ت594هـ)، المن بالإمامة ، تح/ عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط3 ، 1987 م.

ابن الخطيب: محمد بن عبدالله بن أحمد السلماني (ت776هـ)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تح/ محمد كمال شبانة ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1423هـ/ 2002م.

- ابن القطان:أبو الحسن علي بن القطان الفاسي (ت 628هـ)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أهل الزمان، تحقيق : محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990م.

- ابن مرزوق: محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (781هـ)،المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، دراسة وتحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة ا- ابن بطوطة: أبو عبدالله محمد إبراهيم اللواتي (779هـ)، رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ، 1384هـ/1946م، الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1401هـ / 1981م.

ابن الزيات: يوسف بن يحيى بن عيسى التادلي (ت 627هـ)، التشوف إلى رجال التصوف ، تح/ أحمد التوفيق، طبعة البيضاء 1984م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط .

- ابن عيشون الشراط: محمد بن عيشون الشراط أبو عبدالله (ت 1109هـ)،الروض العاطر بأخبار الصالحين من أهل فاس ، دراسة وتحقيق زهراء النظام ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1997م .

- ابن قنفذ: أبي العباس أحمد الخطيب (ت810هـ)، أنس الفقير وعز الحقير اعتنى بنشره وتصحيحه محمد الفاسي أدولف فور ، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط ، 1956م.

- أبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (ت 412هـ): طبقات الصوفية ، تح/ مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1429،1هـ/1998م.

- التليدي: المطرب بمشاهير أولياء المغرب ، دار الأمان ، المغرب ، ط1421،3هـ/2000م.

- الحميري : محمد عبد المنعم الحميري (ت 900هـ) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح/ إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2، 1984م.

- الحسن الوزان : الحسن بن محمد المعروف بليون الإفريقي (ت حوالي 957هـ)، وصف إفريقيا، تر/ محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، 1983م .

الحضرمي : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب السلسل العذب والمنهل الأحلى، تح/ مصطفى النجار، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية، سلا، مطابع سلا، (د.ت) .

- عياض: القاضي عياض وولده ، مذهب الحكام في النوازل والأحكام ، تقديم وتحقيق وتعليق : محمد بن شريفة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 1977 م .

- الإدريسي: أبو عبدالله محمد الهاشمي القرشي (ت559هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1414هـ / 1994م.

- البرزلي: فتاوى البرزلي، تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب الهيلة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط1، 2002م.

- البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تح/أحمد سعيد أعراب ، الطبعة الملكية ، الرباط ، 1420هـ/1982م.

- الجزنائي: أبو الحسن علي (ت ق 8هـ)، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية، الرباط ،196م.

- السملالي: العباس بن ابراهيم (ت)،الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تقديم، عبدالوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1413هـ/1993م.

- الصومعي: أبو العباس أحمد بن أبي القاسم (ت 1013هـ)، كتاب المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى ، تح/ علي الجاوي ، منشورات جامعة ابن زهر ، سلسلة رسائل وأطروحات ، أكادير، 1995م.

- العمري: ابن فضل الله العمري (ت 749هـ)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1988م .

- العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الشافعي العسقلاني (ت852هـ/1448م)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (الذيل) ، تحقيق وتعليق ، أحمد فريد الزيدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت).

- العزفي: أبو العباس أحمد السبتي (ت 633هـ)، دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى) ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1989م.

- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، مصر ، 1985م.

- مؤلف مجهول: مفاخر البربر ، دراسة وتحقيق ، عبد القادر بوباية ، دار أبي رقراق، القاهرة ، ط1، 2005م .

- مؤلف مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، مصر، 1985م.

- الشفشاوني : محمد بن عسكر (ت 986هـ)، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر ، تح/ محمد حجي ، مراجعة عبد المجيد خيالي ، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي ، الدار البيضاء ، ط3، 1424هـ/2003م.

- الونشريسي: أحمد بن يحيى (ت 914هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ،خرجه ، جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1401هـ / 1981م.

المراجع

- - إبراهيم القادري بوتشيش: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 2006م.

- إبراهيم حركات: الحياة الاقتصادية في العصر المريني ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس، الرباط ، العدد 3-4 ، 1978.

- أبو اليزيد العجمي : الزهاد والمسلمون ومجالات العمل الإسلامي ، مجلة المسلم المعاصر ، إصدار مؤسسة المسلم المعاص، بيروت ، العدد 33، 1403هـ/1983م

- أحمد المحمودي: عامة المغرب الأقصى في العصر الموحدي ، طبع منشورات عكاظ ، الرباط ، يونيو ، 2001م، سلسلة دراسات وأبحاث ، منشورات جامعة المولى إسماعيل ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مكناس.

- حبيب القيسي: نظرات في بعض ملامح العامة للحياة الروحية والفكرية في المغرب ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مطبعة المعارف ، بغداد، العدد 16 ، 1973م.

- سامية مصطفى مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2003م.

- سحر عبد العزيز سالم: مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي منذ نشأتها حتى نهاية عصر بني مرين ، مؤسسة سباب الجامعة الإسكندرية ، ط1، 1966.

- عز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1424،2هـ/ 2003م.

- مراجع عقيلة الفناوي: سقوط دولة الموحدين ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1409هـ/1988م.

- محمود علي مكي: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، ط1، 1424هـ/2004م.

- محمد المنوني: حضار الموحدين ، دار طوبقال ، الدار البيضاء ، ط1، 1989م .

- محمد حجاج الطويل: النشاط الاقتصادي في تادلا خلال العصر الوسيط ، سلسلة ندوات ومناظرات تادلا المجال الثقافة ، المملكة المغربية ، جامعة القاضي عياض ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، بني ملال ، 1992م.

- محمد المنوني: نظم الدولة المرينية ، مجلة البحث العلمي ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، العدد 4-5،السنة الثانية ، (1385هـ/1965م) .

- محمد الرشيد ملين: عصر المنصور الموحدي ، مطبعة الشمال الإفريقي ،(د.ت).

- محمد مزين: وثيقة جديدة حول توزيع المياه بفاس المدينة القديمة (عدوة الأندلس) في أواخر العصر المريني ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد بن عبدالله ، فاس، العددان 2-3 ، 1979-1980م .

- محمد عبد الوهاب خلاف: خطة الأحباس في الأندلس ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مركز النشر لجامعة القاهرة ، القاهرة ، العدد 53، مارس ، 1992م.

المراجع الأجنبية:

Vovell(Michel);La mort et l occident de anons jours, editions .Callimard et Panth eons,Paris 1983.

Dufourcq;La vie quotedienne dans L Euroupe sous La .domination arab,Paris1978 .

Allain(ch); Reconnaissances archeologiques dans le massif des .Rehamn Bahira et la dans Hesp.1954.

Deverdun(G); Marrakech des origins ,et ,et techniques Nord .techniques Nord , Africaines . Rabat. 1912